

الموضوع: لقاء المسيح مع المرأة السامرية (٢)

برنامج أنوار كاشفة

نتابع اليوم مستمعي العزيز كما وعدناك، التأمل ببقية الحوار الذي جرى بين المخلص المسيح والمرأة السامرية. وكان المسيح قد بدأ كلامه مع المرأة السامرية بالحديث عن الماء الحي، الماء الحي الذي يعطيه هو. وقد تبين لنا في اللقاء الماضي أن هذا الماء الحي، يشير إلى هبة الخلاص المجاني وعطية الروح القدس.

تابع البشير يوحنا في الأصحاح الرابع من بشارته الحوار الذي جرى بين المخلص المسيح والمرأة السامرية فكتب يقول: " قالت له المرأة يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي. قال لها يسوع: اذهبي وادعي زوجك وتعالني إلى ههنا. أجابت المرأة وقالت: ليس لي زوج. قال لها يسوع: حسنا قلتِ ليس لي زوج، لأنه كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلتِ بالصدق. (يوحنا ٤: ١٥-١٨)

أدما: يبدو واضحا أن المرأة السامرية قد أساءت فهم كلام المسيح عن الماء الحي، فظنت أنه يتكلم عن الماء الطبيعي. ولهذا طلبت منه أن يعطيها هذا الماء، لكي لا تعود بحاجة أن تأتي مرة أخرى إلى البئر لتستقي. لكن المسيح لم يجبهها، بل طلب منها أن تذهب وتستدعي زوجها، وتأتي به إليه. وهنا أخرج موقف المرأة السامرية، التي ادّعت أنه ليس لها زوج. ففاجأها المسيح وهو العالم بخفايا الأمور بكشفه لحقيقة نفسها الخاطئة. إذ قال لها: " حسنا قلتِ ليس لي زوج، لأنه كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلتِ بالصدق." لا بد أن كلام المسيح قد وقع وقع الصاعقة على المرأة، وأدركت عندها أن الرجل الواقف أمامها هو نبي من عند الله.

ماذا قصد المسيح بكشفه أسرار حياة هذه المرأة السامرية؟ لقد أراد أن يقول لها، أنه إذا أرادت فعلا الحصول على الماء الحي، أي على خلاص الله، فيجب عليها أولا وقبل كل شيء أن تقرر بحقيقة نفسها الخاطئة. وهذا درس مهم لنا جميعا. إن الحصول على خلاص الله يبدأ من الاعتراف بحقيقة نفوسنا الخاطئة. قد لا تكون خطايانا كبيرة كالمرأة السامرية الزانية، لكننا خطاة إذ ولدنا بالخطية. ولا ينفع نكراننا لهذه الحقيقة. إن الله لن يسمع لنا أو يقبلنا، إلا إذا اعترفنا أمامه بخطايانا. وليس هذا فحسب، بل علينا أن نتوب عن آثامنا ونصمم على تركها. وعندها يمد الله لنا يد المساعدة ويهبنا خلاصه الكامل. فهل أنت مستعد يا صديقي أن تعترف بخطاياك وتتوب عنها؟

وأراد المسيح أيضا في فضحه لأسرار حياة هذه المرأة السامرية، أن يكشف لها حقيقة شخصيته، وأنه هو المسيح المخلص الذي كان الشعب ينتظره. نتابع الآن بقية الحوار بين المخلص المسيح والمرأة السامرية. " قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في اورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسيّا الذي يقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو. " (يوحنا ٤: ١٩-٢٦) إلى هنا انتهى الحوار المسجل بين المسيح والمرأة السامرية.

نلاحظ من نص هذا الحوار، أن المرأة السامرية وفي محاولة منها، لكي تتهرب من موضوع الخطية في حياتها، أثارَت موضوعا جديدا. فأخذت تتحدث عن موضوع العبادة لله ومكانها. وكأن المشكلة ليست حياة الخطية التي تعيشها، بل هي مكان العبادة، وهل هو في جبل السامرة أم في اورشليم. أليس هذا ما يفعله الكثيرون في أيامنا هذه يا صديقي؟ فبدل أن يقرؤا بحقيقة نفوسهم الخاطئة، نراهم يبدؤون نقاشا عقائديا. فيطرحون مثلا الأسئلة عن كيفية ممارسة الطقوس والفرائض الدينية، وإن كان حقا أن المسيح هو كلمة الله الأزلي، أو أنه مات على الصليب. وهم بذلك يتجاهلون أن موضوع خلاص نفوسهم، وعلى أي أساس يغفر الله خطاياهم، هو الموضوع الذي يجب أن يبحثوا فيه أولا. وأن عليهم أن يقرؤا بذنوبهم ويتوبوا عنها، قبل أن يبحثوا عن أي موضوع آخر.

بالرغم من ذلك نجد أن المخلص المسيح أجاب المرأة السامرية عن سؤالها، كاشفا لها ولنا جميعا حقيقة هامة. وهي أن العبادة الحقيقية اليوم، أي بعد مجيء المخلص المسيح، لم تعد تتعلق بأي مكان معين. فلم يعد الجبل في السامرة الذي كان يعبد فيه السامريون، ولا الهيكل في مدينة اورشليم الذي كان يعبد فيه اليهود، المكان الصالح لعبادة الله. بل إن كل من يريد أن يعبد أو يسجد لله الآب، عليه أن يسجد له بالروح والحق. إن المهم في الأمر إن ليس المكان الذي نعبد فيه الله، بل الكيفية التي نعبد فيها الله أو نسجد له. والسبب كما ذكر المخلص المسيح: لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا.

إن الله روح، أي هو موجود في كل مكان، فهو يملئ الأرض كلها والأكوان. ولهذا نستطيع أن نتوجه نحوه بالسجود والعبادة في أي مكان. فهو يسمع صلاتنا في أي مكان نكون فيه، وإلى أي إتجاه نتجه نحوه أثناء صلاتنا. لكن علينا عندما نتوجه إلى الله بالعبادة، أن نأتي إليه بالروح والحق. أي أن نتطهر أولا من خطايانا. لأن الله قدوس وعادل، ولا نستطيع أن نتقرب منه مادما في خطايانا. ويتم التطهير عندما نتوب عن ذنوبنا كما ذكرنا، ونطلب مغفرة الله عنها، بواسطة الإيمان بموت المسيح الكفاري على الصليب من أجل خطايانا، وقيامته المجيدة من بين الأموات من أجل تبريرنا.

وعلينا ثانياً أن نأتي الله ساجدين بالروح، أي من القلب، وليس عن طريق العبادة الشكلية. ونقصد بالعبادة الشكلية، العبادة التي يردد فيها الإنسان الكلمات دون فهم لها. أو يقوم بالركوع والوقوف والجلوس، دون أن يسجد من القلب وبالروح. بينما تكون العبادة الحقة بأن يسجد الإنسان لله من كل قلبه، وتكون له علاقة روحية حية معه.

وعلينا ثالثاً أن نأتي الله ساجدين بالحق. والحق هو الرب المخلص يسوع المسيح الذي قال عن نفسه: " أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي." (يوحنا ١٤:٦) لهذا علينا عندما نسجد لله ونعبده، أن نأتي إليه بواسطة المخلص يسوع المسيح. فهو الوسيط الوحيد، الذي صالحنا مع الله الآب بموته الكفاري على الصليب. وهو الشفيع الوحيد في السماء الذي يشفع فينا أمام الله الآب.

هذا باختصار ما قصده المخلص المسيح في تصريحه للمرأة السامرية، أنه علينا أن نسجد لله بالروح والحق. وكانت نتيجة هذا الحوار أن آمنت المرأة السامرية بالمخلص المسيح، وذهبت وأخبرت كل أهل قريتها عنه. فهل تود يا صديقي أن تأتي الله معترفاً بخطاياك، ومؤمناً بكفارة المسيح من أجل ذنوبك؟ وعندها تستطيع أن تسجد لله بالروح والحق، وتختبر في نفس الوقت خلاص الله وغفرانه العجيب.